مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ISSN: 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 17 عدد: خاص جانفي 2022
العنوان: ثورة الماوماو ضد التواجد الاستعماري... ص.ص 991- 1010.

ثورة الماوماو ضد التواجد الاستعماري البريطاني في كينيا (1952-1956م)

صدام بن فرج- طالب دكتوراه
جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله - الجزائر
saddemchoaib1991@gmail.com

تاريخ الإرسال:2020/05/14؛ تاريخ القبول: 2021/05/16

Mau Mau revolt against the British colonial presence in Kenya (1952-1956)

Abstract:

The Mau Mau revolt against the British colonial presence in Kenya (1952-1956) is one of the greatest revolutions of the twentieth century, as the Kikuyu tribe and the general Kenyan people rose up against the arbitrary policies of the colonizer that covered various areas, and to counter these events the British authorities launched a series of military operations against the Mau Mau rebels Thousands of innocent citizens were killed, and many members of the National Liberation Movement were thrown into prisons such as Jomo Kenyatta. Although the occupation authorities managed to quell the Mau Mau revolution, the sacrifices made by the Kenyan people contributed to internationalizing their cause in front of world opinion, and made Britain was also forced to launch independence negotiations, which culminated in the restoration of national sovereignty.

Keywords: Mau Mau Revolution; Kenya; Kikuyu Tribe; British colonialism; Jomo Kenyatta.

الملخص:

تعد ثورة الماوماو ضد التواجد الاستعماري البريطاني في كينيا (1952-1956م) من أعظم الثورات في القرن العشرين، حيث انتفضت قبيلة الكيكويو وعموم الشعب الكيني ضد سياسات المستعمر التعسفية التي شملت مختلف المجالات، ولمواجهة هذه الأحداث شنت السلطات البريطانية سلسلة من العمليات العسكرية الوحشية ضد ثوار الماوماو راح ضحيتها عشرات الآلاف من الأهالي الأبرياء، كما تم

الزج بالعديد من أعضاء حركة التحرر الوطني في السجون أمثال جومو كينياتا، ورغم تمكن القوات الاستعمارية البريطانية من إخماد ثورة الماوماو إلا أن التضحيات الجسام التي قدمها أبناء كينيا ساهمت في تدويل قضيتهم أمام الرأي العالمي، وبذلك أجبرت بريطانيا على بعث مفاوضات الاستقلال والتي توجت باسترجاع السيادة الوطنية.

الكلمات المفتاحية: ثورة الماوماو؛ كينيا؛ قبيلة الكيكويو، الاستعمار البريطاني؛ جومو كينياتا.

مقدمة:

إن المتتبع لشؤون منطقة شرق إفريقيا وتاريخها يلاحظ أن هذا الجزء من القارة السمراء كان محل أطماع العديد من الدول الإستعمارية الأوروبية، وذلك لما يزخر به من مقومات اقتصادية كبيرة سواء في المجال الزراعي أو الصناعي، والجدير بالذكر أن هذه المنطقة تعرضت إلى أخطر تنافس إمبريالي بين الدول الإستعمارية الثلاث بريطانيا ألمانيا وفرنساوقد وضع مؤتمر برلين (1884-1885م) حدا لهذا الصراع حيث تم اقتسام مناطق النفوذ، وبذلك حصلت ألمانيا على تنجانيقا وفرنسا على جزيرة مدغشقر وكان نصيب بريطانيا مستعمرتي أوغندا وكينيا.

إن الشعب الكيني كغيره من الشعوب المضطهدة التي لا ترضى بغير الحرية وترفض الخضوع لأي سيطرة أجنبية، فمنذ أن وطأت أقدام المستعمر البريطاني هذه الأرض اندلعت روح المقاومة بأشكالها المختلفة ضد الإدارة الإستعمارية وسياساتها التعسفية، بدءا بالانتفاضات الشعبية مرورا بمرحلة النضال السياسي المنظم بقيادة جومو كينياتا وصولا إلى تفجير ثورة الماوماو، حيث تمثل هذه الأخيرة نقطة تحول هامة في تاريخ كينيا الحديث والمعاصر، ورغم فشل ثورة الماوماو في تحقيق أسمى أهدافها ألا وهو نيل الحرية وطرد القوى الأجنبية، إلا أن صداها بلغ كافة أنحاء العالم وتمكنت من كسب تعاطف المجتمع الدولي، وعليه رضخت بريطانيا لأمر الواقع وأجبرت على بعث مفاوضات الإستقلال والتي كللت باسترجاع السيادة الوطنية.

لقد أردنا من خلال ورقتنا البحثية هذه التطرق إلى حدث مهم وبارز في التاريخ الإفريقي، ألا وهو ثورة الماوماو ضد التواجد الإمبريالي البريطاني في كينيا وكتابته بأقلام إفريقية، وذلك من أجل دحض أقاويل المؤرخين الاستعماريين البعيدة كل البعد عن الموضوعية، حيث حاولت تلميع صورة الاستعمار والتقليل من تضحيات الأفارقة في سبيل الحرية، ومحاولة مني لرسم صورة مستوفية الجوانب حول هذا الموضوع ارتأيت أن أطرح مجموعة من التساؤلات التي ستشكل محاور رئيسية للبحث ولعل أبرزها: ما هو أصل كلمة الماوماو؟ وما هي الأسباب التي أدت إلى اندلاع هذه الثورة؟ وفيما تتمثل مساهمات جومو كينياتا في ثورة الماوماو؟ وإلى أي مدى نجحت ثورة الماوماو في تحقيق أهدافها؟.

1. اندلاع ثورة الماوماو 1952م:

أثار نمو حركة التحرر الوطني في كينيا قلق السلطات الإستعمارية البريطانية، لهذا أعدت مخططا للقضاء عليها وأخذت تبحث عن المبررات اللازمة لإفشالها، وفي هذا الصدد نسبت إلى حزب اتحاد كينيا الإفريقي (KAU) وجود منظمة سرية بداخله تدعى الماوماو (Mau Mau)وأنها تهدف إلى القضاء على الرجل الأبيض وإخراجه من كينيا، والجدير بالذكر أن هذه الحركة ظهرت في بداية خمسينات القرن العشرين وهي حركة ثورية مسلحة قاومت الاحتلال البريطاني في كينيا وأثارت الرعب لدى المستوطنين الأوروبيين، ولكنها بقيت غامضة فلا أحد يعرف من هم قادتها وما هو برنامجها ومتى تأسست؟.

لقد اتخذت السلطات الإستعمارية البريطانية من نشاط حركة الماوماو الإرهابي المزعوم الذي روجت له مبررا لإعلان حالة الطوارئ في كينيا في 20 أكتوبر 1952م، وعقب ذلك شرعت في حملة اعتقالات جماعية لأعضاء حزب اتحاد كينيا الإفريقي (KAU)البارزين الذين اتهمتهم بالاشتراك في تنظيم الثورة، وكان على رأس المعتقلين جومو كينياتا Jomo Kenyatta (أنظر التعليق رقم1)، الذي قبض عليه في اليوم الموالي لإعلان حالة الطوارئ ونسبت إليه تهمة قيادة هذه الثورة، حيث قدم للمحاكمة التي استغرقت

أكثر من خمسة أشهر وفي 8 أفريل 1953م صدر الحكم عليه بالسجن لمدة سبع سنوات، كما تمت إدانة أعضاء آخرين في حزبه وصدرت في حقهم أحكام قاسية لمدة طويلة وبالأشغال الشاقة والنفي إلى المناطق النائية في البلاد (إسماعيل حلمي محروس، 2004: 474-475)، ثم لجأت السلطات الإستعمارية بعد هذا الإجراء إلى حل حزب اتحاد كينيا الإفريقي (KAU) في جوان سنة 1953م (عبد الرزاق مطلك الفهد، 1987: 112).

لقد شنت القوات الإستعمارية البريطانية في كينيا موجة من الإرهاب والقمع ضد جماعات قبيلة الكيكويو (أنظر التعليق رقم2) بدعوى تخليص البلاد من أتباع ثورة الماوماو والقضاء عليهم، وفي هذه الحملات والمداهمات التي قادها رجال الشرطة المسلحون على القرى ألقي القبض على عشرات الآلاف من الأهالي الأبرياء، وتم الزج بهم في السجون ومعسكرات الاعتقال كما صودرت ممتلكاتهم من أموال ومواشي (إسماعيل حلمي محروس، 2004: 475)، وبهذه القرارات فإن الحكومة الإستعمارية لم تعمل على إخماد حركة الماوماو بالوسائل السلمية، بل لجأت إلى انتهاج سياسة العصى الغليظة التي زادت من لهيب الثورة (حسني أحمد السيد حماد، د.ت: 65).

اعتبر كورفيلد F.D. Corfield (أنظر التعليق رقم3) جومو كينياتا المسؤول الأول عن الأحداث التي وقعت في كينيا خلال فترة الطوارئ(Jeremy Murray Brown, 1972 :301)، كما أكد على أنه هو المهندس الرئيسي لثورة الماوماو التي كانت حسب اعتقاده تستهدف الحضارة الغربية والمستوطنين الأوروبيين كرمز للتقدم في كينيا، وفي حقيقة الأمر أن ثورة الماوماو لم تكن موجهة ضد الحضارة الغربية بل ضد ظلم النظام الاستعماري (Dickson A. Mungazi, 1999 :155).

لقد قال البريطانيون أن كينياتا حتى وإن لم يكن مسؤولا عن الهجمات التي كان يشنها ثوار الماوماو ضدهم، إلا أنه كان بوسعه إيقافها أو منعها من الانتشار (نبيل بدر، د.ت: 69)، وذلك بدليل أنه عندما طلبوا منه أن يساعدهم في قمعها قال بأنه سوف يحاول، وقد

حيرتهم تلك الجماهير التي كانت تستمع لخطبه فقد وصل عددها إلى 25 ألف شخص، ويظن البريطانيون أن كينياتا خدعهم من خلال خطبه هذه فبينما كان يدعوا أنصاره إلى نبذ الماوماو ويقول أن حزب اتحاد كينيا الإفريقي منظمة تحترم القانون، كان في الوقت نفسه يوحي بإشارات سرية بأن آراءه هي عكس ما يقول، ويصر البريطانيون أن كينياتا كان يستطيع وقف ثورة الماوماو لوكان يرغب في ذلك حقا لأن كلمته كانت والقانون سواء، فقد طلب من الكيكويو عدم شرب الخمور الإنجليزية فامتنعوا عن احتسائها وطلب منهم أن لا يضعوا القبعات البريطانية على رؤوسهم فاجتنبوا لبسها، لكنه لم يطلب منهم في صدق وإخلاص نبذ الماوماو فانتشرت هذه الثورة كاللهب بدل أن تهدأ (جون جنتر، د.ت: 293)، وتجدر الإشارة إلى أن جومو كينياتا وجه نداءً لثوار الماوماو قائلا: "...بعضكم سوف يسجن والبعض الآخر سوف يقتل، ولكن عندما يحدث هذا يا أبنائي لا تستسلموا إن كل شيء في ها العالم يجب أن يدفع ثمنه ويجب علينا شراء حريتنا بدمائنا..." (Dickson A. Mungazi, 1999 :199).

2. أصل تسمية الماوماو (Mau Mau):

إن المعنى الصحيح لكلمة ماوماو (Mau Mau) ظل مبهما وغير معروف، وقد جرت العديد من المحاولات لتفسير ها المصطلح فهناك من نسبه إلى مناطق جغرافية في كينيا فمثلا توجد غابة "ماو" بالقرب من أملاك أقدم المستوطنين في المنطقة ألا وهو اللورد ديلامير Delamire، في حين أن هناك نظرية أخرى تقول بأن مصطلح ماوماو هو تحريف لكلمة "أوما" ومعناها أخرج بلغة الكيكويو، كما يرى البعض أنها مشتقة من الكلمة السواحلية "موما" ومعناها القسم. وهناك تفسير آخر وهو أن هذه التسمية تنسب إلى أميرة من قبيلة الكيكويو كانت ابنة لرجل يسمى "مورمبي" الأب الأسطوري للقبيلة (جون جنتر، د.ت: 298)، كما أنه من المحتمل أن يكون هذا اللفظ قد أطلقه هؤلاء الثوار المرابطون في الجبال وهم يزأرون كالأسود أثناء هجومهم على الهدف الذي يبتغونه من أجل إيقاع الرعب في نفوس أعدائهم من المستوطنين الأوروبيين، ولما لم

يكن لهذه المنظمة أي اسم أو مقر أو وثائق ومنشورات فإن السلطات الإستعمارية البريطانية في كينيا أطلقت تسمية الماوماو على هؤلاء الثوار نسبة إلى صيحاتهم (عبد الرزاق مطلك الفهد، 1987: 113)، إلا أن الرأي الراجح هو أن هذا المصطلح من اختراع الأوروبيين وأن هذا اللفظ لا أساس له في اللغات المحلية بين القبائل الكينية (حسني أحمد السيد حماد، د.ت: 61).

3. أسباب اندلاع ثورة الماوماو:

إن الأسباب الحقيقية وراء اندلاع ثورة الماوماو هي سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، جراء الحرمان من الأرض والتهميش السياسي إضافة إلى سياسة التمييز العنصري وفرض الضرائب، وكما يقول إدجيرتون Edgerton" لقد جاء المستوطنون إلىكينيا من أجل كسب المزيد من الثروة وليس لتسليم فوائد الحضارة البريطانية إلى الأفارقة..." (Muadi Mukenge, 1993 :16).

1.3 الاستيطان ونشأة مشكلة الأرض:

تعتبر قبيلة الكيكويو من أكبر القبائل في كينيا وأعظمها شأنا حيث كانت تعيش حياة مستقرة وهادئة، فقد اشتهرت أرضهم الحمراء التربة بخصوبتها العالية كما أنهم لم تكن لديهم مشكلات تتعلق بالجفاف فالأمطار تسقط بانتظام على مدار السنة، وإلى جانب الزراعة اعتمدوا على قنص الحيوانات التي كانت تتوفر بكثرة في أرضهم، كما اشتغلوا بصناعة الأسلحة التي كانوا يقومون ببيعها إلى قبائل الماساي الرعوية، لكن هذه الحياة السعيدة التي كانت تعيشها قبيلة الكيكويو لم تستمر، ففي بداية القرن العشرين ابتلي هذا الشعب بمحن متتالية أثرت على نمط حياته، فقد بدأ توافد المستوطنين الأوروبيين على بلادهم وساهمت الطبيعة في سلسلة من الكوارث التي حلت بالقبيلة، حيث قضى مرض الجذري على عدد كبير منهم وأصاب الطاعون البقري ماشيتهم، ولم تأت الأمطار على غير العادة مما تسبب في المجاعة وحتى أسراب الجراد لم ترحمهم والتهمت كل ما أمامها، ولاشك بأن هذه الكوارث المتلاحقة قد أثرت على امتداد قبيلة الكيكويو إذ تُركت العديد من الأراضي دون

زراعة، وبذلك استغل الأوروبيون هذا الظرف وقاموا بالاستيلاء عليها (نبيل بدر، د.ت: 6).

يعتبر الأفارقة أن المستعمرين البريطانيين أخرجوهم من أرضهم واحتلوها بالقوة وجعلوا منها مقرا للرجل الأبيض، في حين أن المستوطنين يرون أن الأرض التي استولوا عليها هي أرض لا مالك لها، والحقيقة أن قبائل الكيكويو هجروا إقليم المرتفعات بسبب انتشار الأمراض والأوبئة وبقي عدد قليل منهم، وعند وصول الأوروبيين للمنطقة ظنوا أن الأرض ملك يباع ويشترى فدفعوا بعض الأموال للأفراد المتبقين واستولوا عليها، لكن أفراد قبيلة الكيكويو عندما عادوا لأرضهم وجدوا المستوطنين يدعون ملكيتها، حيث عارضوا ذلك بشدة بحجة أن الأرض ليست ملكية قبلية ولهذا لا يمكن لرئيس القبيلة أو أي فرد آخر أن يتصرف في هذه الأرض ويتنازل عليها، وللإشارة فإنه عند قبيلة الكيكويو نظام خاص لتملك الأرض يسمى "جيثاكا" Gethaka وبموجبه تصبح الأرض ملكا عائليا وفرديا في الوقت نفسه وليست ملكا قبليا، ولذلك فإن المنطق يقول بأن الأرض مازالت ملكا للأفراد والعائلات، وأن الفعل الذي أقدم عليه الأوروبيون هو استيلاء غير مشروع أساسه القوة والاستغلال (سميرة محمود، 1960: 21).

2.3 العمل الإجباري وسياسة فرض الضرائب:

منذ بداية الغزو الأوروبي لإفريقيا احتاجت الدول الإستعمارية إلى اليد العاملة حيت كان الطلب عليها مرتفعا (توبور هيلين دالميدا، 2013: 70)، وبالنسبة لمستعمرة كينيا فبعد استيطان الرجل الأبيض واجهته مشكلة جوهرية تتمثل في توفير العدد الكافي من الأيدي العاملة الرخيصة في المزارع الأوروبية، وقد كان من الصعب دفع الأفارقة إلى العمل في مزارع الأوروبيين بعيدا عن عشائرهم وقراهم، كما أن الإفريقي شديد التعلق بأرضه حتى أنه لا يرضى مغادرتها إطلاقا (إبراهيم محمد الأسيوطي، 1960: 71)، وفي هذا الصدد يقول أحد الكتاب الإنجليز: "...إن الأرض بالنسبة لمعظم الأفارقة تماثل ضوء الشمس والهواء من حيث المكانة عند الأوروبيين..." (Mike Kaye, 2005 :9).

في 21 أكتوبر 1919م صرح الحاكم العام لمستعمرة كينيا إدوارد نورثي Northey قائلا: "... يجب أن تكون الغلبة للرجل الأبيض ومن أجل خير هذا البلد ورفاهية أهله ينبغي حث الأفارقة على العمل...". ولم يمض يومان على هذا التصريح حتى أرسلت منشورات تطلب من الموظفين الاستعماريين بذل المزيد من الجهود لتوفير العدد الكافي من العمال في المزارع الأوروبية بإتباع الوسائل القانونية، وبالرغم من عبارة الوسائل القانونية إلا أنه تم إتباع أساليب الإكراه في إرغام الأفارقة على العمل، الأمر الذي أثار في نفوس الأهالي السخط والاستياء، وكانوا في كثير من الأحيان يجبرون على ترك أعمالهم في أراضيهم والعمل في مزارع المستوطنين بأبخس الأجور (راشد البراوي، 1953: 40).

لقد لجأت حكومة كينيا الإستعمارية إلى طريقة أخرى تزود بها المستوطنين الأوروبيين بالأيدي العاملة الرخيصة وذلك بفرض نظام الضرائب المباشرة، وعندما فرضت هذه الضريبة لأول مرة رحبت جريدة المستوطنين التي كانت تصدر في مستعمرة كينيا بهذا القرار وهنأت الحكومة عليه وكتبت: "...إننا نعتبر أن الضريبة هي الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها إرغام الأفارقة على ترك منازلهم للبحث على عمل..."، وتجدر الإشارة إلى أن الأفارقة أجبروا على مواجهة هذه المتطلبات الجددة بأحد الأمرين إما بزيادة المحاصيل لبيعها، أو بالعمل لفترة من كل عام لدى الأوروبي للحصول على الأجر المطلوب لتسديد الضريبة(حسني أحمد السيد حماد، د.ت: 65)، وكان الحل الأول لتسديد الضرائب عن طريق توسيع إنتاج المحاصيل صعب التحقيق، لأن السياسة الإستعمارية هدفت إلى عرقلة الزراعة الإفريقية تحت حجة حماية التربة من التآكل والتصحر، وقد تأثرت هذه السياسة بالمستوطنين الذين كانوا يخشون من هيمنة الأفارقة على الزراعة وعلى إنتاج المحاصيل النقدية (David W. Throop, 1990 :44).

3.3 التمييز العنصري والتهميش السياسي للأفارقة:

إن السلطات الإستعمارية البريطانية هدفت منذ البداية إلى عدم إشراك الأفارقة في إدارة بلادهم قصد تحضيرهم مستقبلا

لتسيير شؤونها، وبذلك فإن المجالس النيابية كانت تحت السيطرة المطلقة للمستوطنين في شرق إفريقيا عامة وكينيا خاصة (منصف بكاي، 2009: 28)، وقد تناسى الأوروبيون المشرفون على حكم كينيا كل التوصيات التي أصدرها بعض الساسة البريطانيين وعلى رأسهم الدوق ديفونشاير Devonshire والذي جاء على لسانه سنة 1923م أن كينيا إقليم إفريقي وبالتالي فإنه من الضروري لحكومة بريطانيا أن تعطي الأولوية للفئة التي تمثل الغالبية في هذا المجتمع (حسني أحمد السيد حماد، د.ت: 32)، والجدير بالذكر أن المجلس التشريعي في مستعمرة كينيا منذ تأسيسه سنة 1906م وإلى غاية صدور منشور ديفونشاير عام 1923م لم يتضمن أي عضو إفريقي، مما جعل الزعماء الأفارقة من مجموعات كبار السن يطالبون بإرسال وفد منهم إلى لندن لمعارضة سيطرة الأوروبيين على مصالح الأفارقة في قضية التمثيل في المجلس التشريعي (عبد المنان محمد شفيق، 2012: 355).

لقد أحس المستوطنون الأوروبيون أنه مادام لهم دور قوي في الدخل الوطني لكينيا فلابد أن يأخذوا كذلك دورا هاما في سياسة البلاد، وهو ما كان لهم بالفعل حيث حصلوا على حق الانتخاب سنة 1919م مع أنهم كانوا الأقلية، أما الجاليات الآسيوية فقد حصلت على حق التمثيل السياسي سنة 1932م (حسني أحمد السيد حماد، د.ت: 32)، ولم يبدأ تعيين أي عضو إفريقي في المجلس التشريعي إلا سنة 1944م، وتجدر الإشارة إلى أن اهتمام السلطات الإستعمارية بإدخال الأفارقة في المجلس التشريعي لم تأت من العدم، بل أن هناك سبب مهم وهو تزايد نشاط الحركة الوطنية في كينيا أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية، وبذلك هدف البريطانيون من وراء إشراكهم في المجلس التشريعي كسب رضاهم ومحاولة تفريقهم في نفس الوقت، من خلال تمثيل بعض القبائل وتهميش القبائل الأخرى (عبد المنان محمد شفيق، 2012: 367).

أما فيما يخص ظاهرة التمييز العنصري فقد كانت منتشرة في كل مجالات الحياة حيث أنها اتخذت طابعا قانونيا في مستعمرة كينيا، وقد نصت كل التشريعات التي أصدرتها السلطات

الإستعمارية البريطانية صراحة على أن المستوطنين الأوروبيين الذين سيطروا على أجهزة الحكم واستولوا على المساحات الشاسعة من الأراضي هم "مواطنون من الدرجة الأولى"، وأن المهاجرين الآسيويين "مواطنون من الدرجة الثانية" أما السكان الأصليون أي الأفارقة فهم "مواطنون من الدرجة الثالثة"، وكانت السلطات الإستعمارية البريطانية تتساءل دائما عن قدرات الأفارقة الثقافية وتجعل من ذلك مبررا لحرمانهم من تولي المناصب الهامة(حسني أحمد السيد حماد، د.ت:32).

لقد كانت سياسة الحاجز اللوني تنتشر بشكل واسع في معظم أرجاء شرق إفريقيا وخاصة كينيا، فكثير من المطاعم الهامة لا يمكن أن يدخلها الأفارقة، ويذكر الدكتور ليكي Leakey أنه من المستحيل على أي إفريقي في كينيا حتى ولو كان مثقفا ودرس في أرقى الجامعات الإنجليزية أن يحصل على غذاء له في مطعم أو فندق مخصص للأوروبيين (فؤاد أحمد الصقار، 1962: 192)، كما تتجلى سياسة التفرقة العنصرية بشكل واضح للزائر إلى مستعمرة كينيا، فبمجرد وصوله إلى مطار نيروبي يجد أن هناك دورات مياه مخصصة للسادة الأوروبيين وأخرى للسادة الآسيويين، بينما لا توجد دورات مياه للأفارقة على الإطلاق (جون جنتر، د.ت: 226)، وكذلك هو الحال بالنسبة لمختلف المرافق الاجتماعية الأخرى، فقد حرّمت السلطات الإستعمارية البريطانية على الأفارقة ارتياد الأماكن العامة أو ركوب العربات والحافلات المخصصة للأوروبيين، والتي كانت تحمل لافتات كتب عليها "للبيض فقط" Whites Only (إسماعيل حلمي محروس، 2004: 474).

4. ثورة الماوماو التطورات والانعكاسات (1952-1956م):

لقد أخذت ثورة الماوماو من قسم قبيلة الكيكويو التقليدي شعارا لضمان الولاء لها، ومعلوم أن قسم الكيكويو محدد في أهدافه ونظرا لقدسيته لديهم فإنه لا يستخدم إلا في الحالات النادرة، حيث أنه مرتبط بديانة القبيلة فضلا عن كونه وسيلة لحفظ النظام بين جماعات قبيلة الكيكويو، وكان هذا القسم لا يستخدم إلا بعد الفشل في حل النزاعات القائمة عن طريق مجلس كبار السن، وغالبا ما كانت

أطراف النزاع تهدد باستخدام القسم للتوصل إلى تسوية لنزاعهم، حيث كان يكشف الجانب الكاذب وذلك لاعتقادهم جميعا بفاعليته على الطرف الذي يكون قد شهد زورا، والحقيقة أن قسم الماوماو مختلف تماما عن قسم القبيلة التقليدي حيث يجبر الشخص الراغب في الانضمام إلى الثورة على حلف هذا القسم ويتعهد بعدم إفشاء الأسرار، وقد استغل قادة ثورة الماوماو أمرا مهما جدا ألا وهو أن حالف القسم الذي ابتعد عن قبيلته كان في الواقع لا يميز بين القسم التقليدي والقسم الجديد، ونظرا لقدسية القسم وأثره الغامض فإن صاحبه كان يخشى الآثار المترتبة عن نقض هذا العهد (ظاهر محمد جاسم، 2007: 206).

تجدر الإشارة إلى أن آداء القسم كان يجري ليلا داخل الأكواخ خصوصا بين الأفراد الذين يعملون في مزارع الأوروبيين، وقد سعى القادة السياسيون لثورة الماوماو إلى زيادة الحشد الشعبي وتوسيع قاعدة دعمهم من خلال سكان الأرياف، حيث عملوا على تجنيد أكبر عددمن المناضلين من فئة الفلاحين الذين خسروا أرضهم وأصبحوا عمالا أجراء في مزارع المستوطنين بأبخس الأثمان، وتشير بعض التقارير إلى أن 60% من الأشخاص الذين قاموا بأداء القسم الماوماو كانوا ينتمون إلى الشريحة الأكثر فقرا نتيجة للسياسة الإستعمارية القائمة على نزع الأراضي وتمليكها للمستوطنين (Robert H. Bates, 1987 :25)، كماكانت النساء أيضا تجبرن على أداء القسم وهذا لكي لا تثني زوجها عن القيام بأي عمل يطلب منه، وإلى جانب هذا كان أعضاء جماعة الماوماو يفرضون نوعا من الحصار على الأشخاص الذين لم ينضموا إلى الثورة، حيث لا يدعونهم لحضور حفلاتهم ولا يساعدونهم في بناء أكواخهم (حسني أحمد السيد حماد، د.ت: 63).

والجدير بالذكر أن السلطات البريطانية كانت تدرك حقيقة أن الثوار يقدسون ثورتهم وأن القسم الذي يؤدونه عند الانضمام إلى الثورة له تأثير قوي في نفوسهم، لذلك لجأت إلى استمالة العديد من الكهنة وأقنعتهم بإقامة حفلات دينية يحضرها الأفارقة لكي يتطهروا من القسم، إلى جانب هذا فإن الحكومة الإستعمارية في كينيا

أصدرت قانونا يقضي بإعدام كل من ثبت عليه الانضمام إلى ثورة الماوماو أو حتى أنه أدلى بالقسم على أنه واحد منهم (عبد العزيز كامل، 1962: 105).

تولى ديدان كيماثي Dedan Kimathi (أنظر التعليق رقم4) قيادة الجناح المسلح لثورة الماوماو خلال العامين الأولين من فرض حالة الطوارئ، وعين نفسه في رتبة مارشال على جيش تحرير الأرض (S.H. Fazan, 2015 :190)، وشهدت بداية سنة 1952م حدوث سلسلة من الاضطرابات والتي تمثلت في قيام عناصر من الماوماو بمهاجمة الكولون وأعوانهم من الأهالي الأفارقة (منصف بكاي، 2009: 119)، وقد مست هذه الهجمات المنشآت البريطانية بما فيها الثكنات العسكرية ومصالح المستوطنين، وتجدر الإشارة إلى أنه من الناحية العسكرية لم يكن هناك تكافؤ للقوى بين ثوار الماوماو وقوات الجيش البريطاني (عبد الرزاق مطلك الفهد، 1987: 116)، فقد كانت ثورة الماوماو تفتقد إلى التنظيم إضافة إلى النقص الفادح في الأسلحة والقادة العسكريين، ولا وجه للمقارنة بين أعضائها وبين قوات الجيش البريطاني الذي كان مزودا بكل التجهيزات الحديثة، ومع ذلك ظل رجال حرب العصابات من حركة الماوماو يناضلون بكل بسالة طوال أربع سنوات من أجل تحرير بلادهم واستقلالها (إسماعيل حلمي محروس، 2004: 277).

كان النشاط الرئيسي لثوار الماوماو خلال النصف الأول من سنة 1953م هو توفير الذخيرة والإمدادات الطبية للمجندين المرابطين في جبل كينيا وأبيردار (Shiraz Durrani, 2018: 128)،وخلال نفس الفترة شنت القوات البريطانية سلسلة من العمليات العسكرية بهدف سحق قوات الماوماو، الذين كانوا ينشطون في إقليم الهضاب المرتفعة ومع ذلك فقد باءت هذه الحملات بالفشل، إذ كان ثوار الماوماو يحاربون عن عقيدة راسخة وإيمان لا يتزعزع بأهمية الكفاح للتخلص من الاستغلال الإمبريالي، وكانوا بأسلحتهم البدائية يندفعون بكل جرأة وثبات نحو أهدافهم موقعين الرعب في نفوس المستوطنين الأوروبيين، وفضلا عن ذلك كان الثوار يلقون مساندة من قبل السكان وكانت أنباء التحركات

العسكرية البريطانية تصل إليهم مقدما، الأمر الذي مكنهم من الحفاظ على قوتهم وشن هجمات مضادة ناجحة على قوات العدو (عبد الرزاق مطلك الفهد، 1987: 113).

لقد كان الموقف العام للمستوطنين هو الرد على هجمات ثوار الماوماو بأساليب أكثر دموية في إطار ما يسمى بمكافحة الإرهاب، وكان الهدف من هذه العمليات هو إعادة الاحترام وردع الأفارقة من القيام بأي شكل من أشكال المقاومة ضد الاستعمار، وفي هذا الصدد وصف D. H. Rawcliffe أحد المستوطنين الأوروبيين في كينيا أن التدابير العسكرية الوحشية التي اتبعتها السلطات البريطانية في قمع الأهالي تذكرنا بالأساليب النازية (Fabian Klose, 2013 :139). ونظرا لزيادة معدل الجريمة والاضطرابات التي شهدتها كينيا خلال فترة الطوارئ فرضت سلطات الاحتلال حظر التجوال في العديد من المقاطعات، كما منعت الدخول أو الخروج من العاصمة نيروبي بين السابعة مساءً والخامسة صباحاً، وعززت قواتها المتحاربة على كافة الجبهات حتى وصل عددها 30 ألف مقاتل مطلع عام 1953م (حسني أحمد السيد حماد، د.ت: 71).

لقد توقع المستعمرون الإنجليز أن يرغم الجوع والحصار ثوار الماوماو على الاستسلام، لكنهم استمروا في كفاحهم البطولي وشنوا هجمات سريعة وخاطفة على مراكز العدو ومقرات بعض المؤسسات الحكومية، في حين استمرت السلطات البريطانية في إجراءاتها القمعية ضد الشعب الكيني وخاصة المتعاطفين مع الثورة، وبضغط من المستوطنين لجأت القوات الإستعمارية إلى طرد الآلاف من منازلهم حيث أجبروا على النزوح إلى مناطق نائية، كما ألقي القبض على أعداد كبيرة من الأهالي وكانت أغلب الاعتقالات تتم ليلا، وفي معظم الحالات يتم القبض على بعض الأشخاص وهم في طريقهم إلى العمل دون أن يعرف أهلهم أو ذويهم شيئا عن مصيرهم أو سبب اختفائهم (عبد الرزاق مطلك الفهد، 1987: 113-114).

بعد اشتداد ثورة الماوماو أوكلت السلطات الإستعمارية إلى الجنرال جورج أرسكين George Erskineمهمة قيادة القوات

البريطانية سنة 1953م، خلفا للجنرال هندي Hinde الذي أنهيت مهامه بسبب فشله في إخماد هذه الثورة (Fabian Klose, 2013: 74). وكانت خطة الجنرال أرسكين في القضاء على الثورة تقضي بتقسيم القوات البريطانية إلى ثلاث وحدات:

- الأولى: تتكون أساسا من لواء مشاة تتمركز في غابات جبل كينيا.
- الثانية: كتيبة من العربات المصفحة ومشاة متنقلين لتطهير مدينة نيروبي التي أصبحت معقلا للثوار وشل مركزهم للتخطيط والإمداد.
- الثالثة: قوة تابعة لسلاح الجو البريطاني لقصف قواعد الثوار في جبال أبيردار (S.H. Fazan, 2015 :198).

لقد كان الهدف من هذه الغارات الجوية إجبار ثوار الماوماو على الخروج من معاقلهم المتواجدة في الغابات والتي يتعذر الوصول إليها، وتجدر الإشارة إلى أن مثل هذه الهجمات العشوائية كانت محظورة بموجب القانون الدولي، وبررت بريطانيا أن هذه العمليات كانت تمس مواقع لإرهابيين وبالتالي فإن خطر إصابة المدنيين كان طفيفا، كما وسعت السلطات الإستعمارية البريطانية دائرة حالة الطوارئ والأحكام الاستثنائية، وأمر حاكم كينيا إيفلين بارنج Evelyn Baring بتطبيق سياسة العقاب الجماعي لجميع سكان المناطق التي ينشط فيها ثوار الماوماو، وقد برر ذلك بالقول أن سكان المناطق التي تعاني من الفوضى لم يتصرفوا بمسؤولية لوقف هجمات المتمردين أو منع المذنبين من الفرار (Fabian Klose, 2013: 140-142)، لذلك فإن قوات الاستعمار البريطاني وعند مداهمتها لقرية معينة تقوم أولا بإحصاء أفرادها، فإذا اكتشفت أمر غائب أو مجموعة من الغائبين أعطت القرية مهلة 24 ساعة وإن عجزت عن تسليم المطلوبين صادرت ماشيتهم وأخرجت السكان من أرضهم وساقتهم إلى المعتقلات (حسني أحمد السيد حماد، د.ت: 72).

والجدير بالذكر أن نضال العنصر النسوي في الحركة التحررية الكينية كان حاسما، حيث انضمت النساء بأعداد كبيرة إلى الثورة وتعد وامبوي واياكي أوتينو Wambui Waiyaki Otieno أول عضوة في حركة الماوماو، وكلفت بمهام الاستطلاعوالاستخبارات

في مقاطعة نيروبي، وقد وصف Wachanga دور المرأة في ثورة الماوماو قائلا: "...كان دور نساء الكيكويو في كفاحنا من أجل الأرض والحرية مهما للغاية، لقد كانوا قادرين على التحرك بسهولة أكبر من الرجال حيث عملوا بجد في المدن والقرى من أجل جمع الأسلحة والذخيرة والملابس لمقاتلي الغابات..." (جيسلاجيسلر، 2014: 72).

اشتدت التدابير العسكرية التي اتخذتها السلطات البريطانية ضد ثوار الماوماو بداية من سنة 1955م، حيث استطاعت أن تجبرهم على الانسحاب من جبل أبيردار وأصبحوا متمركزين في جبيل كينيا ومقاطعة نيروبي، وقد هاجم الثوار تحت ضغط الجوع والحصار بعض المحلات العامة واستولوا على مواد التموين التي تلزمهم في حياة الغابات، لكن رد الحكومة الإستعمارية كان عنيفا حيث قامت بطرد 18 ألف فرد من قبيلة الكيكويو وأحاطت مدينة نيروبي بالأسلاك الشائكة (عبد العزيز كامل، 1962: 109)، وتجدر الإشارة إلى أن السكان الأصليين الذين تم تجنيدهم في صفوف الجيش البريطاني والذين عرفوا بحرس الكيكويو Kikuyu Gard، لعبوا دورا حاسما في إخماد ثورة الماوماو حيث تسببوا في 50% من الخسائر التي تكبدها الثوار(Daniel Branch, 2009 :5)، ولكن أعنف الإجراءات وأقساها التي اتخذتها بريطانيا للقضاء على ثورة الماوماو هو الهجوم الساحق الذي شنته على الثوار المرابطين في جبل كينيا (عبد الرزاق مطلك الفهد، 1987: 114)، أو ما عرف بعملية أنفيل في 24 أفريل 1954م حيث استمر هذا الهجوم لأزيد من أربعة أسابيع وتم خلاله اعتقال 27 ألف من قبيلة الكيكويو (S.H. Fazan, 2015 :200).

لقد أثرت هذه التدابير والعمليات العسكرية على مجموعات المقاومة بحيث قطعت عنهم إمدادات الأسلحة والمؤونة، إضافة إلى المواد الطبية والملابس مما أضر بثوار الماوماو كثيرا وساهم في تمزيق صفوفهم (عبد الرزاق مطلك الفهد، 1987: 114)، وفي شهر أفريل 1955م سلم جورج أرسكين قيادة القوات البريطانية في كينيا إلى الجنرال جيرالد لاثبيري Gerald Lathbury، حيث تم

القضاء على جيش تحرير الأرض وبقيت المهمة الرئيسة للاثبيري إخراج ما تبقى من الثوار والقضاء عليهم، وقد قرر هذا الأخير عدم القيام بعمليات عسكرية باهضة التكاليف وركز على ملاحقة مقاتلي الماوماو في الغابات من خلال نشر قوات خاصة قليلة العدد عرفت بالعصابات الزائفة.

إن نهاية ثورة الماوماو كان في أواخر سنة 1956م عندما تم القبض على ديدان كيماثي وإدلائه باعترافات مهمة تحت وطأة التعذيب، مما تسبب في توقف معظم العمليات الهجومية الخطيرة التي كان يشنها ثوار الماوماو على مراكز العدو وبذلك تم إخماد الثورة نهائيا (S.H. Fazan, 2015 :201)، وفي نوفمبر 1956م تم إجلاء غالبية القوات البريطانية من كينيا وبالرغم من انتهاء العمليات العسكرية فإن الحكومة الإستعمارية أبقت على حالة الطوارئ سارية المفعول حتى عام 1960م (Fabian Klose, 2013 :76).

5. نتائج ثورة الماوماو (Mau Mau):

في أواخر سنة 1956م نشرت الحكومة الإستعمارية في كينيا حصيلة عن نتائج الحرب بعد مرور أربع سنوات من فرض حالة الطوارئ وكانت كالآتي:

- كلفت الحرب السلطات البريطانية مبلغ خمسة وخمسين مليون جنيه إسترليني.
- بلغت الخسائر البشرية من جانب الأوروبيين بـ 32 عسكريا، إضافة إلى مقتل 100 إفريقي من قوات الأمن و26 عسكريا من مختلف الجاليات الآسيوية في كينيا.
- قدرت خسائر الأهالي الأفارقة بـ 18000 قتيلا منهم 11500 من قبيلة الكيكويو وحدها (منصف بكاي، 2009: 146).

تجدر الإشارة إلى أن المصادر الإفريقية قدرت خسائرها بنحو 30 ألف قتيل وتدمير حوالي 150 ألف كوخ واعتقال ما يزيد عن 62 ألف من الأهالي، حيث لقي غالبيتهم حتفهم بسبب الأعمال الشاقة وأساليب التعذيب الوحشية التي انتهجتها السلطات الإستعمارية البريطانية (حسني أحمد السيد حماد، د.ت: 81).

خاتمة:

من خلال ما تقدم نستنتج جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- تعد ثورة الماوماو أعظم تحد واجهه الاستعمار البريطاني في كينيا حيث انتفضت قبيلة الكيكويو وعموم الشعب الكيني ضد سياسات المستعمر نتيجة لتدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية.
- يعتبر جومو كينياتا رمز الكفاح ورائد الحركة التحررية في كينيا حيث لعب دورا كبيرا في تفجير ثورة الماوماو والتي هدفت أساسا إلى نيل الحرية واسترجاع السيادة الوطنية.
- كان رد السلطات الاستعمارية اتجاه ثوار الماوماو عنيفا حيث سخرت إمكانيات بشرية ومادية ضخمة للقضاء على الثورة، كما تم القيام بعمليات عسكرية أقل ما يمكن وصفها بأنها لا إنسانية راح ضحيتها آلاف الأبرياء.
- إن التدابير والإجراءات التي أقرتها بريطانيا أضرت بثوار الماوماو كثيرا وساهمت في تمزيق صفوفهم، ونظرا لعدم تكافؤ القوي تمكنت القوات الجيش البريطاني من إخماد ثورة الماوماو في أواخر سنة 1956م.
- رغم فشل ثورة الماوماو في تحقيق أحد أهم أهدافها ألا وهو نيل الحرية وطرد القوى الأجنبية إلا أنها ساهمت في تدويل القضية الكينية في المحافل الدولية، وتحت ضغط الرأي العالمي أجبرت بريطانيا على بعث مفاوضات الاستقلال والتي توجت باسترجاع السيادة الوطنية في 12 ديسمبر 1963م.

التعليقات والشروح:

التعليق رقم1: جومو كينياتا (1898-1978م): سياسي كيني وأول رئيس للبلاد بعد الإستقلال، ينتمي إلى قبيلة الكيكويو أحد أعرق وأكبر القبائل في كينيا، تلقى تعليمه في إرسالية الكنيسة الأسكتلندية ثم سافر إلى لندن وواصل دراساته العليا، وبعد عودته إلى أرض الوطن أكمل مساره النضالي حيث تولى قيادة الحركة التحررية الكينية من أجل استعادة السيادة الوطنية. أنظر (Robert Maxon and Thomas Ofcansky, 2000 :125-126).

التعليق رقم2: تعد قبيلة الكيكويو من أكبر المجموعات العرقية في شرق إفريقيا، يتمركزون في مرتفعات جبل كينيا ويحترفون الزراعة ويمارسون تقاليد مغايرة عن بعض الشعوب مثل ختان البنات، يتكلمون لغة الكيكويو أو الجيكويو التي تنتمي إلى لغة البانتو من اللغات الإفريقية. أنظر (Jomo Kenyatta, 1973 :19).

التعليق رقم3: تقلد كورفيلد F.D. Corfield العديد من المناصب كمدير استعماري في السودان وفلسطين وإثيوبيا، وخلال الحرب العالمية الثانية تولى قيادة قوات The Kings African Riflesفي كينيا. وفي سنة 1954م تم تكليفه من قبل السلطات الإستعمارية لإعداد تقرير مفصل عن ثورة الماوماو، والذي نشره عام 1960م تحت عنوان "المسح التاريخي لأصول الماوماو". أنظر (S.M. Shamsul Alam, 2007 :167).

التعليق رقم4: ديدان كيماثي Dedan Kimathi: ولد سنة 1920 في مقاطعة نييري وزاول تعليمه الابتدائي في مدرسة كنيسة اسكتلندا التبشيرية، وخلال اندلاع ثورة الماوماو تولى قيادة الثوار في جبل أبيردار وألحق هزائم فادحة بالقوات الإستعمارية، وفي 22 أكتوبر تم إلقاء القبض على كيماثي وتم الحكم عليه بالإعدام في 19 نوفمبر 1956م. أنظر (Robert Maxon and Thomas Ofcansky, 2000 :134).

المراجع:

- الأسيوطي إبراهيم محمد، (1960). **كينيا الثائرة**، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.

- بدر نبيل، (د.ت). **جومو كينياتا الرمح الأسود في صدر الاستعمار**، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.

- البراوي راشد، (1953). **ماوماو ثورة الأحرار في كينيا**، ط2، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر.

- بكاي منصف، (2009). **الحركة الوطنية واسترجاع السيادة بشرق إفريقيا**، ط1، الجزائر: دار السبيل للنشر والتوزيع.

- جنتر جون، (د.ت). **داخل إفريقيا**، ترجمة جلال الدين العروسي، ج2، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

- جيسلرجيسلا، (2014). **النساء وإعادة خلق السياسات في بلدان جنوب إفريقيا التفاوض حول الاستقلالية والإدماج والتمثيل**، ترجمة عزة خليل، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

- حماد حسني أحمد السيد، (د.ت). **تاريخ الاستعمار البريطاني في كينيا**، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.

- دالميداتوبور هيلين، (2013). **إفريقيا في القرن العشرين**، ترجمة صباح محمود كعدان، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.

- شفيق عبد المنان محمد، (2012). **الهنود ودورهم في كينيا في عهد الاحتلال البريطاني 1886-1963**. أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ والحضارة، جامعة أم القرى، السعودية.

- الصقار فؤاد أحمد، (1962). **التفرقة العنصرية في إفريقية**، ط1، القاهرة: دار النهضة العربية.

- ظاهر محمد جاسم، (2007). **التاريخ الإفريقي المعاصر**، ط1، القاهرة: المكتب المصري للمطبوعات.

- محروس إسماعيل حلمي، (2004). **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر من الكشوف الجغرافية إلى الوحدة الإفريقية**، ج1و2، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

- محمود سميرة، (1960). « استيطانالبيضومشكلةالأرض». **نهضة إفريقية**، العدد37، ص.ص 19-26.

- مطلك الفهد عبد الرزاق، (1987). « الحركةالوطنيةفيكينيا ». **مجلة المؤرخ العربي**، العدد11، ص.ص 104-117.

- Daniel Branch. (2009). Defeating Mau Mau Creating Kenya. Cambridge: Cambridge University Press.

- David W.Throop. (1990). Economic and Social Origins of the Mau Mau. London: James Cuurey Ltd.

- Dickson A. Mungazi. (1999). The Last British Liberals in Africa. United States: British library Cataloguing in publication date.

- Fabian Klose. (2013). Human Rights in the Shadow of Colonial Violence the Wars of Independence in Kenya and Algeria. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

- Jeremy Murray Brown. (1972). Kenyatta. London: George Allen &Unwin ltd.

- Jomo Kenyatta. (1973). Au pied de Mont Kenya. Traduit par Georges balandier. Paris : François Mospero.

- Mike Kaye. (2005). Over 200 Years of Campaigning Against Slavery. UK: Printed Words.

- Muadi Mukenge. (1993). " Sensationalism At Work Creating the Myth of the Mau Mau ". A Journal of African Studies. Vol21. No1. pp14-26.

- Robert H. Bates. (1987). " The Agrarias Origins of Mau Mau A Structural Account ". Agricultural History. Vol 61. No1.pp145-158.

- Robert Maxon and Thomas Ofcansky. (2000). Historical Dictionary of Kenya. London: The Scarecrow Press.

- S.H. Fazan. (2015). Clonial Kenya Observed British Rule Mau Mau and the Wind of Change. London: Edited by I.B. Tauris & Co.Ltd.

- S.M. Shamsul Alam. (2007). Rethinking the Mau Mau in Colonial Kenya. New York: Palgrave Macmillan.

- Shiraz Durrani. (2007). Trade Union in Kenya's War of Independence. Nairobi: Vita Books.

للإحالة على هذا المقال:

ـ بن فرج صدام، (2022)، **«ثورة الماوماو ضد التواجد الاستعماري البريطاني في كينيا (1952-1956م)»** . **المواقف**، المجلد: 17، العدد: خاص، جانفي 2022، ص. ص 991- 1010.